لا يعار
المكتبة
قسم الدوريات
المدينة المنورة

١٠

جامعة الأزهر
كلية الدراسات الاسلامية والعربية

# حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية

العدد الاول

١٤٠٢ هـ — ١٩٨٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقل رَبِّ زدنی علمًا

صدق الله العظيم

# ملاحظات

* ترتيب البحوث مبنى على حسب أقسام الكلية : قسم أصول الدين — قسم الشريعة الإسلامية — قسم اللغة العربية وآدابها . ولا علاقة له بقيمة البحث ولا بمركز الباحث .

* البحوث المنشورة بالحولية على مسئولية كاتبيها .

# حوليـــة كلية

الدراسات الإسلامية العربية

مجلة علمية تصدرها الكلية كل عام

إشـــراف

أ . د . محمد ابراهيم الفيومي

عميد الكلية

## أســـرة التحـــرير

| | |
|---|---|
| أ . د شعبان محمد اسماعيل | رئيسا |
| د . سيد محمد السيد الفار | عضـــواً |
| د . عبد المنعم القصاص | عضـــواً |
| د . أيوب عبد العزيز | عضـــواً |

# إفتتاحيـــة العـــدد

بقلم

## الدكتور محمد ابراهيم الفيومى

عميد الكلية

تشارك كلية الدراسات الاسلامية والعربية فى المجال الثقافى والدينى ، بما تقدمه هذا العام فى حوليتها الأولى . . المؤسسات العلمية وأكاديميات البحوث الإنسانية ، فى تطوير الحياة الثقافية والدعاية الدينية فى المجتمع .

وهى تنطلق من ميدان التعاون « الثقافى ، والدينى » لتمد جسور الثقافة بين ما تباعد من الارض وماقرب ، وبين الانسان ومجتمعه . . وبين الانسان وقواه الداخلية وعلاقاته الخارجية ؛ وبين ذلك كله والخالق جل وعلا . . ولتلك الغاية جاءت البحوث مختلفة الألوان وتمثل الأقسام والتخصصات التى تضطلع الكلية بعبء رسالتها . .

فبعضها ينتمى إلى قسم أصول الدين من : عقيدة ، وفلسفه ، وتفسير وحديث ، وبعضها ينتمى إلى قسم الشريعة من أصول وفقه .

والآخر ينتمى إلى قسم اللغة العربية وآدابها : من نحو ، وصرف ، وأدب ، ونقد

ولقد حرص أعضاء هيئة التدريس متضافرين أن يلبوا الدعوة إلى الاسهام والمشاركة بالكتابة والاخراج . . وذلك كلـــه فى وقت مزدحم بأعمـــال الامتحانات . . .

وتمثل هذه الحولية فى مجموعها وجـــه الثقافه للكلية فى الخارج ورمزاً من رموز سفارتها بين الجامعات وقاعات المكتبات والبحوث .

فان أثارت جانب الرضى والاعجاب فتلك محمدة كسبناها تدفعنا إلى مزيد من الجهد ليبقى الرضى رضا ، والاعجاب . . وأن أثارت جانب السخط أو الخصومة فتلك لفته إكتسبناها ليقوم حوار بيننا يتوخى بيان القصد وتوضيح السبيل لنكون جميعاً فى خدمة الغاية الدينية من الوحدة والتوحيد .

وحتى لاينقلب الخلاف فى الرأى صراعا ــ فانه وبــلا شك يوجد بيننا متاحات مشتركة من التفاهم ينبغى علينا قبل أن نغضب أن نتآزر على توضيحها وبيانها ليتشكل منها روافد صالحه تحمل معانى : اللقاء ـ والحب ـ والاخلاص.

وإن لم يثر فيك شيئاً من ذلك ـ بمعنى أنها لم تحرك فيك غضباً أو حباً . فحسبنا منها ماقدمنا ، وحسبنا منك البسمــة وتقليبها بين يديك . . وفى نهاية ذلك كله جوانب من التعارف ممدود بخيــط موصول حواسية التــألف قال تعالى : « ولكل وجهه هو موليها فاستبقوا الخيرات »

واللــه من وراء القصــد ،،،

وباللــه التوفيــق ،،،

# كلية الدراسات الاسلاميه والعربيه

# فى سطور

١ — فى سنة ١٩٦٥ م صدر قرار السيد / نائب رئيس الوزراء للاوقاف وشئون الازهر رقم ٢٦ لسنة ١٩٦٥ م بانشاء قسم عال للدراسات الاسلامية والعربية بجامعة الازهر على غرار ماكان يدرس فى القسم العالى بالجامع الازهر بحيث يشمل كافة العلوم الاسلامية والعربية .

٢ — وفى سنة ١٩٧٢ م تم تحويل القسم العالى الى معهد مستقل للدراسات الاسلامية والعربية وذلك بناء على القانون رقم ٧ لسنة ١٩٧٢ م.

٣ — وفى سنة ١٩٧٦ م تم تعديل اسم المعهد الى كلية الدراسات الاسلامية والعربية وذلك بناء على قرار السيد / رئيس مجلس الوزراء رقم ٢٩٩ لسنة ١٩٧٦ م بتفويض من السيد / رئيس الجمهورية .

وكان الهدف الاساسى من إنشاء هذه الكلية هو :

تخريج العالم الازهري المسلم بالمواد الاسلامية والعربية التى ظل الازهر العملاق الخالد حفيظاً عليها ، قائماً بدراستها مبرزا لروائعها ، معنياً بذخائرها ناشراً لاشعتها ، عالميـاً ومحلياً ، على مدى ألف عام قبل إنفصال تلك المواد وتوزيعها على الكليات المتخصصة فى أصول الدين أو الشريعة أو اللغة العربية فهى إمتداد للمنهج العلمى المشرق للازهر الشريف الذى لم يكن يقف عند حد تخصص من التخصصات العلمية ومن هنا كان الحرص على أن تتضمن خطة الدراسة التى تضمنتها لائحة الكلية مايحقق الهدف المرجو من تكوين العقلية القادرة على البحث — بوعى وعمق — فى تراثنا الاسلامى والعربى — بفروعه المختلفة المتكاملة .

فيدرس فيها الطالب المواد التى تدرس فى كلية أصول الدين من العقيدة ، والفلسفة ، والمنطق ، والتفسير وعلوم القرآن ، والحديث الشريف وعلوم ، وتجويد القرآن الكريم وكيفية تلاوته .

ويدرس من مواد كلية الشريعة : الفقه ، والاصول ، والاحوال الشخصية وتاريخ التشريع ، والفقه المقارن .

كما يدرس من كلية اللغة العربية : النحو والصرف ، والبلاغة والادب ، والنقد والعروض ، واللهجات العربية ، وفقه اللغة والمعاجم والتاريخ الإسلامى وسائر المواد العربية .

بالاضافة إلى المواد الحديثة التى تعقل عقل الطالب ، وتعايشه مع مجتمعه وتؤهله لأن يؤدى رسالته خارج الوطن العربى ، فيدرس مواد التربية ، وعلم النفس ، وطرق التدريس ، والمذاهب الفكرية ، واللغات الأجنبية .

هذه المواد جميعها يدرسها الطالب من خلال ثلاثة أقسام متخصصة ، تضم نخبة ممتازه من أعضاء هيئة التدريس : ( قسم أصول الدين ـ قسم الشريعة الاسلامية ـ قسم اللغة العربية وآدابها ، كما وضعت خطة متكاملة للدراسات العليا فى الأقسام الثلاثة ، تمنح درجة التخصص (الماجستير) والعالمية (الدكتوراه) فى التخصصات المختلفة ، ولا تزال الكلية تؤدى دورها على خير وجه من الطالب الازهرى الذى يجمع بين العلوم الشرعية والعربية بجميع فروعها ، محققاً بذلك رسالة الازهر العتيق .

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يحقق الآمال ، وأن يوفق المسئولين جميعاً لما فيه خير الإسلام والمسلمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

بقلم

الدكتور محمد اسماعيل

رئيس قسم الشريعة الإسلامية

# النزعة العقلية

## عند الإمام الشافعي ومنهجها

( أ . د / محمد ابراهيم الفيومي )
عميد / كلية الدراسات الإسلامية والعربية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الإمام الشافعى فى الرسالة :

أخبرنا شعبان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه أن النبي قال :

« نضر الله عبد اسمع مقالتى ، فحفظها ووعاها وأداها فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه »

قال الشافعى :

فيه مايدل على أنه قد يحمل الفقه غير فقيه يكون له حافظاً ، ولا يكون فيه فقيهاً . . .

تحقيق وشرح

العلامة الشيخ أحمـــد محمد شاكر

# النزعة العقلية عند الإمام الشافعي ومنهجها

## أولا : التأمل وأثره فى مواقفه الفكرية : البنائية والنقدية :

قد يتبادر إلى الذهن - وليس غريباً أن يتبادر - أن التأمل الذى نجعله إحدى ركائز الاتجاه العقلى عند الشافعى . . بل ومن أهمها ! إننا سوف نسلك بالامام الشافعى طريق العزلة الفكرية القائمة على التأمل الذاتى البحت التى لا يسلك سبيل المنطق العقلى فى معالجة قضايا الفكر ، لذلك نود أن نبين معنى التأمل الذى نحرره فى هذه الدراسة .

لاشك أن التأمل - وهو حديث ذهنى - يجرى بين الشخص ونفسه فى شكل حوار نفسى هو أحد المعايير التى قد يوصف به الشخص بأنه حكيم متأن لأنه يراود نفسه ويصطنع معها الأناه فى حكمة أو التى قد يوصف به الشخص بأنه يسير وفق أهوائه وهواجسه .

معنى ذلك أن الحديث الذهنى الدائر على شكلين :

وارد : تحكمه الهواجس النفسية فيرد غير موجه لاخطة له ولاثبات لها وفى هذه الحالة يقال : ان الأفكار شاردة قلقه وتبدو كأن أحداها لاصله له بالأخرى كما هو الحال عند المتهورين الذين يجرون وراء الاحلام .

ووارد : تحكمه الثقافة فهو أكثر ثباتا لوجود خطة ناظمة له . . فتبدو معه الفكرة متسلسلة حتى تؤدى إلى الشيء الذى تستهدفه مثل هذه السلسلة المتتابعة من الصور المنظمة هي التفكير الواعى وهذا هو المعرفة العلمية . . فالعلم هو معرفة تؤدى إلى النتائج واعتماد حدث على حدث آخر نفيا أو إثباتا بهذه المعرفة فعمل اعتمادا على مابوسعنا أن نعمله من ذلك تتكون نواة التفكير المنطقى ، ومايتكون لدينا من أفكار وبالتأمل العلمى ، على نحوما شرحنا تنجذب الافكار العلمية بعضها إلى بعض العلاقة الرابطة بين مايبدو من الافكار متنافرا والتأمل هو الذى يصنع تلك الجاذبية الفكرية

التى تصنع الانسجام فى العلاقات الاجتماعية . . وخاصة إذا اهتدى المتأمل إلى الربط بين أسلوب الحياة وبين حاجات الفكر .

وعلى هذا المفهوم العلمى لمعنى التأمل تحمل معنى التأمل عند الشافعى والذى يكون وهو الصفة الغالبة عليه وذلك لما يتميز به الامام منذ نبوغه فالتفكير الهادىء فى مظهره وحسن البصر فى الامور وعمق النظر فيما حوله من ثقافات لتلك الخصائص الفكرية . . رأيناه يرتبط بالتأمل الصامت المتأخر الذى بنى عليه منهجه الفكرى .

قال : عمد ابن أخت الشافعى عن أمه قالت :

ربما قدمنا فى ليلة واحدة ثلاثين مرة أو أقل أو أكثر المصباح بين يدى الشافعى وكان يستلقى ويتذكر ثم ينادى : ياجارية هلمى مصباحا .

فتقدمه ، ويكتب مايكتب ثم يقـــول : ارفعيه ، فقيل لأحمـــد : لما أمر برد المصباح ؟ . . قال : الظلمة أجلى للقلب .

« وليس هذا النوع من التفكير الهادى فى ظلمة الليل كتفكير من يهتم بالمسائل الجزئية والتفاريع بل يعنى بضبط الاستدلالات التفصيلية بأصول تجمعها وذلك هو النظر الفلسفى » .

قال ابن سينا فى منطق الشفاء « أنا لانشتغل بالنظر فى الألفاظ الجزئية ومعانيها فانها غير متناهية فتحصر والا ، لو كانت متناهية ، كان علمنا بها من حيث هي جزئية يفيدنا كمالا حكميا وغلبة حكيمة » . فتأمل الشافعى تأمل فيلسوف يرى فى الاشياء مايستحق النظر والرؤية وعميق التأمل بقول أحمد : الشافعى فليسوف فى أربعة أشياء :

× فى اللغة . × واختلاف الناس . × والمعانى . × والفقه .

فالشافعى كان فيلسوفا معبرا عن نزعته العربية وتراثه الاسلامى ، فهو فيلسوف فى اللغة واختلاف الناس والمعانى والفقه . وتلك عمد الثقافة العربية الاسلامية .

والتأمل وان تميز به الشافعي فانه صفة غالبة على الفكر العربي بيد أن تأمل الشافعي موجه إلى مشكلات الثقافة والفكر ومنهج إرتياطهما بالاسلام والبحث عن الحلول الكفيلة لبقاء مسايرة الاسلام لتغيرات المجتمع ومشكلاته .

من آثار التأمل :

( ١ ) إختيار الاستاذ : قال الشافعي عندما وصل اليه الخبر بأن مالك بن أنس إمام المسلمين وسيدهم : فوقع في قلبي أن أذهب اليه فاستعرت كتاب الموطأ من رجل بمكة فحفظته .

ثم دخلت على والى مكة فأخذت كتابه الى والى المدينة، وإلى مالك بن أنس وقدمت المدينة وأبلغت الكتاب فقال والى المدينة : يافتى لو كلفتنى المشى من جوف مكة إلى جوف المدينة راجلا حافيا كان أهون على من المشى إلى باب مالك .

فقلت : أن رأى الامير أن يحضره . قال هيهات ليتنا إذا ركبنا اليه وقعد على بابه يفتح لنا الباب . قال : ثم ركب وذهبنا معه إلى دار مالك فتقدم رجل وقرع الباب فخرجت لنا جارية سوداء . فقال لها الوالى قولى لمولاك انى بالباب ، فدخلت الجارية فأبطأت ثم خرجت فقالت ان مولاى يقول لك ان كان لك مسألة فارفعها فى رقعة حتى يخرج لك الجواب . وأن كان المجيء لشيء آخر فقد عرفت يوم المجلس فانصرف .

فقال لها : قولى ان معى كتاب والى مكة فى مهم . فدخلت ثم جرجت وفى يدها كرسى ثم وضعته فاذا مالك شيخ طوال قد خرج وعليه المهابة وهو متطليس فدفع الوالى الكتاب اليه فلما بلغ إلى قوله : محمد بن إدريس رجل شريف من أمره ومن حاله كذا وكذا فرمى الكتاب من يده . وقال : سبحان الله صار علم رسول الله بحيث يطلب بالوسائل .

قال الشافعي : فتقدمت اليه فقلت أصلحك الله انى رجل مطلبي من حالى

ومن قصتي كذا وكذا فلما سمع كلامي نظر إلى ساعة وكان لمالك فراسة : فقال لي : ما أسمك ؟ قلت : محمد . قال يامحمد اتق الله واجتنب المعاصي فانه يكون لك شأن من الشأن فقلت : نعم وكرامة . ـ فقال : أن الله تعالى قد القى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية . ثم قال : إذا كان غدا تجيء بمن يقرأ لك الموطأ .

فقلت أني أقرؤه من الحفظ . فرجعت إليه من الغد وابتدأت بالقراءة وأردت قطع القراءة خوفا من ملالته فأعجبه حسن قراءتي فكان يقول : يافتى زد قرأته في أيام يسيرة ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفي مالك رحمه الله تعالى .

يصف الامام الشافعي اللقاء الأول والأخير بالإمام مالك فبين أن باعث الزيارة كان خاطرا تأمليا اثر سماعه عن إمامته بالمسلمين فحرك هذا الخاطر ميل التلمذة عليه والتعرف اليه فاتخذ سبيله اليه غير أن شغفه بزيارة مالك لم ينسه الاعدادا الكامل لهذه الزيارة اعدادا يتناسب مع رجل العلم وامامه واعدادا ينم عن صورة النزهة العقلية التي اتصف بها الشافعي منذ يفاعته والتي كان التأمل عمادها الأول وهذا الاعداد الذي ينم عن نزعته العقلية هو :

* البحث عن سند مالك الفكري الذي شاع به علمه فوجده في كتابه الموطـــأ .

* محاولة البحث عن الكتاب حتى وجده ثم استعاره من رجل بمكة .

* محاولة درسه واستظهار رواياته

بذلك أصبح الشافعي على علم بالشخصية الذي حرك خاطره لزيارتها ولرغبته الجامحة استكتب والي مكة لوالي المدينة حتى ييسر له هذه الزيارة .

وهذا الاعداد الذي ينم عن عقلية منظمة من جهة الشافعي يدل على عظمة الإمام مالك وأنه كان موقرا من قبل رجل السياسة فضلا عن أهل العلم .

أعرب الإمام استيائه من صنيع الشافعي الذى جاء لطلب العلم ومعه كتاب من والى مكة وفى صحبة والى المدينة قائلا : سبحان الله صار علم رسول الله بحيث يطلب بالوسائل .

كلمة لو تدبرناها لرأينا فيها عدة مبادى :

* مبدأ استقلال العلم عن السياسة ـ * مبدأ احترام العلم بطلب بحثه .

* مبدأ احترام حرية التعبير الذى يكفل للمعلم أن يلفت نظر طلابه إلى ما ينبغى عمله .

* مبدأ أن الاستحسان العلمى وهو غير الاستحسان السياسى

إلى غير ذلك من المبادى التى تهدف الى أن العلم حرم آمن .

( ١ ) الأثر العلمى :

قال الشافعى عن ثمرة زيارته : قرأت عليه الموطأ حفظا .

ثم وصف الشافعى مواطن العجب التى تعجب منها الامام مالك قائلا : فأعجبه حسن قراءتى فلم يعجب من استظهاره للموطأ انما عجبه كان من حسن القراءة فيبدو أن اللحن قد ظهر بين العلماء ، وما كان مصدر عجب لمالك سأله عنه هارون الرشيد بقوله : كيف بصرك بالعربية ؟ قال الشافعى : هي ميداننا . طباعنا بها تقدمت والسنتنا بها جرت ، ولقـــد ولدت وأنا ما أعرف اللحن فكنت كمن سلم من الداء فلم يحتج إلى الدواء . والقرأن يشهد لى بذلك قال الله تعالى : ( وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ) ابراهيم / ٤ . وأنت وأنا منهم فالعنصر رصيف والجرثومة منيفة وأنت أصل ونحن فروع .

فقال الرشيد : صدقت بارك الله فيك . ـ لقد صدق الشافعى بكل معانى الصدق عندما قال لقد كان مالك شديد الفراسة . فصدق بها احساس الشافعى عندما تفرس فراسة مالك ووصفها بالشدة وصدقت بها أيضا فراسة مالك

به تنبأت به عن مستقبل الشافعي .

ذكر الاستاذ أبو منصور البغدادى : أن الشافعى أخذ العلم من مالك وبقى معه إلى أن مات .

( ٢ ) الأثر النفسى من تلك الزيارة :

أصبح لمالك فى نفس الشافعى مكانته تحدث بها لتلاميذه .

* روى ابن عبد الحكم أن الشافعى كان إذا حكى قولا لمالك قال : هذا قول استاذنا مالك بن أنس .

* وقال يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعى يقول : ما فى الارض كتاب فى الفقه والعلم أكثر صوابا من كتاب مالك .

إذا لقد تحدث الشافعى عن علم مالك استاذيته ونقل تلاميذ الشافعى هذا الثناء عنه فلم يكن ثناء الشافعى على مالك سرا ولم يكن به شىء من المداهنة أو الملق إنما كان ثناؤه عليه لمهابته وعلمه خالصا مخلصا ولا سيما أن الثناء عليه كان بعد موته .

وأن ثناء الشافعى على مالك وحديثه الفياض عن استاذية مالك اياه : لحق يقرره الخلق وشرف الانتماء الى العلم ثم هو يعلى من شأن الطالب والقدوة معا .

والاعتراف بحق الاستاذية لذويها من مقررات آداب طلب العلم مادام العلم لايؤتى الا من طريقين مع تفاوت بينهما :

* طريق الوحى : كان حقاً للرسل ثم انتهى بانتهاء حياة الرسول .

* طريق العلماء كتابة أو تلقيا وهو الباقى بوسائله العلمية . فالإعتراف بالاستاذية لذويها فيه رعاية للطريق الثانى للعلم بعد الوحى والوحيد بعد إنتهاء مرحلة الوحى . كذلك فى الاعتراف بالاستاذية تقدير لحق التقدم الزمنى

للاستاذ ، وما للطالب فى النهاية بالنسبة للاستاذ الاخطوة على طريق البحث والتقدم وليس الا رؤية جديدة تعالج آفاقا جديدة والاستاذ كان طالبا ، والطالب قد يكون استاذا . درجات يربطها الرعاية ويقصمها التوانى عنها . . فأعط العلم كلك يعطك بعضه . . . .

ب ) من أثر التأمل : تقويم بعض آراء مالك .

ان استاذية مالك للشافعى كانت محل احترام لكنه غير مقدس فى نفس الشافعى ولازالت فى نفوس المسلمين جميعاً بزيادة التقديس فصفة التقديس التى أصبغها الاسلاميون على من سلف من أولى الرأى الاجتهادى كانت مدخلا إلى غلق باب الاجتهاد فصارت الآراء القابلة للخطأ والصواب : بغلقه كأنها الوحى المقدس

فاحترام الشافعى لأستاذية مالك لم تمنعه من تدبر آراء مالك سواء كان بالنقد أو بالاخذ وهو إذ يفعل ذلك إنما ينطلق من قواعده التى ساهمت فيما بعد لتأسيس مدرسته مثل :

* رأينا صواب يحتمل الخطأ . * ورأى مخالفنا خطأ يحتمل الصواب .

على هذا الاساس عرض لآراء من مذهب الامام مالك بالنقد والتقويم كما ساهمت نزعته العقلية التأملية فى تكوين مدرسته التى نقول عنها : انها مدرسة نقلية عقلية وفى ابراز هذه الاخطاء . . وهذا الموقف النقدى من الشافعى لمالك لم يصب حبل المودة بتلف : أخلاقى أو علمى . . وإذ كان له أثره وأثره هو ازدهار فى الحياة الفكرية من جهة عامة ، وخصوبة فى نماء الفقه الاسلامى وتشريعاته من جهة خاصة . . وما كان من الشافعى إزاء بعض آراء مالك هو أيضاً مايعرف فى عصرنا بمشكلة القديم والحديث أو الشيوخ والشباب . وهذا الموقف يتطابق مع قول الامام أبى حنيفة علمنا هذا الرأى ، وهو آخر ما قدرنا عليه ، فمن رأى غير ذلك فله ما رأى ولنا مارأينا .

بهذا أزدهرت الحياة الفكرية فى الاسلام وتأسست علوما وقواعد وفق الروح المتحررة فازدهر بها الاسلام وسادت حضارته . . ذكر الرازى هذا الاشكال الذى قد يطرأ على أذهان بعض الناس حول الاستاذ والطالب فقال : فان قال قائل : لما كان حال مالك فى الدين والعلم ماذكرته وكان تعظيم الاستاذ واجبا على كل مسلم فكيف أقدم الشافعى على مخالفته ؟؟ . وكيف جوز من نفسه أن يضع الكتاب عليه ؟

أولا : دوافع الكتابة : دفع مظاهر تقديس مالك :

قال البيهقى : قرأت فى كتاب أبى يحى زكريا بن يحى الساجى : أن الشافعى انما وضع الكتاب على مالك لأنه بلغه :

* أن بالاندلس قلنسوة لمالك يستشفى بها .

* وكان يقال لهم . قال رسول الله : فيقولون : قال مالك : فقال الشافعى ان مالكا آدمى قد يحفظ وقد يغلط .

فصار ذلك داعيا للشافعى الى وضع الكتاب على مالك البيان : * بشرية مالك وأخطائه لئلا ينزله الناس منزلة النبوة أو التأليه فصفة التقديس التى ألبسها الاندلسيون على مالكا هي التى أثارت ثورة الشافعى . . ولو أخذ الاسلاميون بعمل الشافعى وكفاحه ضد العوائد المرزوله لما رأينا حال المجتمع الاسلامى يتردى بسبب مظاهر التقديس المنتشرة باسم الدين فى أرجائه .

ثانيا : منهجه فى نقد مالك .

وبدأ الشافعى فى بيان أخطاء مالك لتحقيق بشريته فى نفوس الاندلسيين من جانب وبيان أن الحقيقة وليدة الاجتهاد والبحث من جانب آخر :

( أ ) قال الربيع : سمعت الشافعى يقول : قدمت مصر ولا أعرف

مالكا يخالف من أحاديثه الا ستة عشر حديثاً فنظرت فاذا هو يقول بالأصل ويدع الفرع ويقول بالفرع ويدع الأصل .

قال الرازى : ان الكتاب الذى وضعه الشافعى على مالك قال فى أوله :

* إذا حدث الثقة عن الثقة عن رسول الله فهو ثابت عن رسول الله . . والثابت عن رسول الله لا يترك الا إذا وجد حديث يخالفه وإذا اختلفت الاحاديث فللا ختلاف فيها وجهان :

أحدهما : أن يكون فيها ناسخ فيعمل بالناسخ ويترك المنسوخ .

والآخر : ألا يتميز الناسخ عن المنسوخ .

فها هنا نذهب الى اثبات الروايتين ـ واذا تساويا ـ نذهب الى اسند الحديثين لكتاب الله وأشبههما بحديث آخر واذ ثبت الحديث عن رسول الله لايخالفه حديث أخر وكان يروى عن غير رسول الله حديث يوافقه لم يزده قوة وحديث رسول الله مـ تغن وان كان يروى عن غير رسول الله حديث يخالفه لم التفت الى ماخالفه وحديث رسول الله أولى أن يؤخذ به .

ولما قرر الشافعى هذه القاعدة راعما بها منهجه ، ذكر : أن مالكا عد هذه القاعدة فى بعض المواضع دون البعض . . ثم ذكر المسائل التى ترك الاخبار الصحيحة فيها بقول واحد من الصحابه أو بقول واحد من التابعين أو لرأى نفسه . . ثم ذكر ما ترك فيه من اقاويل الصحابه لرأى بعض التابعين أو لرأى نفسه . وذلك أنه ربما يدعى الاجماع وهو مختلف فيه .

( ب ) كذلك أخذ عليه : ادعاءه أن اجماع أهل المدينة حجة . .

قائلا : ليت شعرى من هؤلاء المجمعين الذين لا يسعون ؟ فانا لا نعرفهم ولا يكلف الله أحداً أن يأخذ دينه عمن لا يعرفه .

( ج ) مآخذ أخرى على تضاربه فى منهجه ، منها : أخبرنا مالك عن أبى الزبير عن عطاء بن رياح بن رباح عن ابن عباس أنه سئل : عن رجل واقع اهله وهو بمنى قبل أن يفيض فأمره أن ينحر بدنه قال الشافعي : وبهذا نأخذ .

وقال مالك : عليه عمرة وحجة تامة وبدنه . رواه عن ربيعة عن ثور بن زيد عن عكرمة بظنه عن ابن عباس يعلق الشافعي فيقول :

فان كان قد ترك قول ابن عباس لرأى ربيعة فهو خطأ .

وأن تركه لرأى عكرمة فهو يسىء القول فى عكرمة لايرى لاحد أن يقبل حديثه .

وهو يروى عن سفيان عن عطاء عن ابن عباس خلافه وعطاء ثقة عنده وعند الناس .

قال الشافعى : والعجب انه يقول فى عكرمة مايقول ثم . يحتاج الى شىء من علمه يوافق قوله فيسميه مرة ويسكت عنه أخرى .

فيروى عن ثور بن زيد عن ابن عباس فى الرضاع وذبائح نصارى العرب وغيره ويسكت عن ذكر عكرمة وانما يحدثه ثور عن عكرمة . وهذا من الامور التى ينبغى لأهل العلم أن يتحفظوا منها .

ثالثا : تعليق بعض الاصحاب على موقف الشافعي :

علق الربيع على موقف الشافعى من مالك قائلا :

( أ ) وأقول انا الربيع : أن أرسطاليس الحكيم تعلم الحكمة من افلاطون ثم خالفه .

فقيل له كيف فعلت ذلك ؟

فقال أستاذى صديقي والحق صديقي . . . فاذا تنازعا فالحق أولى بالصداقة .

فهذا المعنى بعينه هو الذى حمل الشافعى على اظهار مخالفة مالك .

هذه القدرة الفائقة فى النقد المنهجى ماقللت من شأن مالك يوما أو جعلت الشافعى يستخف به فى أحاديثه انما دائما يقول :

لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز . ويقول : اذا جاء الاثر فمالك النجم .

ويقول : كان مالك اذا شك فى شيء من الحديث تركه كله .

تعليق من المحدثين :

بعد ذلك : هل يعد الشافعى قد تحامل على مالك كما يقول الاستاذ الشيخ أمين الخولى وتحامل عليه الشافعى . . حسدا لموضع امامته . وأستاذنا الشيخ أمين رغم ما تميز به من انصاف فاننا لانراه منصفا فى تلك العبارة . . ومما يخفف من وقع هذا التعليق وقسوته : أن الاستاذ الشيخ أمين تابع فيه ابن عبد البر القرطبي ـ الاندلس ـ وأقليم الاندلس . هو الذى دفع الشافعى لينصف مالك بينهم عندما حاولوا تقديسه ـ فى كتابه : جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى روايته وحمله .

فكل خشونة فى النقد وجفاء فى التعليق على موقف الشافعى لاغرو أن نراه من الاندلس ومن متأخرى المالكية . يقول محمد بن عبد الحكم : مارأيت مثل الشافعى . . كان اصحاب الحديث يجيئون اليه يعرضون عليه غوامض علم الحديث فكان يوقفهم على أسرار لم يقفوا عليها فيسرون وهم متعجبون منه ولما سئل أبو محمد بن عبد الحكم . . لما سئل عن معنى قوله : ليس أبو عبيده بفقيه ؟ قال : لانه يجمع أقاويل الناس ويختار منها واحدا . فقيل له : فمن الفقيه ؟ . . قال : الذى يستنبط اصلا من كتاب الله

أو من سنه رسول الله لم يسبق اليه ثم يشعب من ذلك الاصل مائة شعبه .
قيل : فمن الذى هو كذلك ؟

قال محمد بن ادريس الشافعى .

ثانيا : من منهجه التوفيق بين العقل والنقل :

وأما عن منهج الشافعى بالنسبة لمدارس عصره وعلمائها - فهو كما يقول الرازى : كان الناس قبل زمان الشافعى فريقين :

- أصحاب الحديث . - وأصحاب الرأى .

أما أصحاب الحديث فكانوا حافظين لأخبار رسول الله الا انهم كانوا عاجزين عن النظر والجدل وكلما اورد عليهم احد من اصحاب الرأى سوء لا أو اشكالا يقعوا فى أيديهم عاجزين وأما اصحاب الرأى فكانوا اصحاب النظر والجدل الا انهم عاجزون عن معرفة الآثار والسنن .

وأما الشافعى فكان عارفا بسنة رسول الله محيطا بقوانينها وكان عارفا بآداب النظر والجدل قويا فيه وكان فيه فصيح الكلام قادرا على قهر الخصوم بالحجة الظاهرة وأخذا فى نصرة أحاديث رسول الله وكان من اورد عليه سؤلا أو اشكالا اجاب عنه بأجوبة شافية كافية انقطع بسببه استيلاء أهل الرأى على أصحاب الحديث وسقط دفعهم وتخلص بسببه أصحاب الحديث عن شبهات أصحاب الرأى . فلهذ انطلقت الالسنة بمدحه والثناء عليه واوفادله علماء الدين وأكابر السلف . . بقى علينا ان نفهم ما تعنيه عبارة الرازى : عن المناهج التى كانت تحكم الجو الفكرى قبل الشافعى أنها كانت منهجيه :

- المنهج العقلى - والمنهج النقلى

فما هو المنهج العقلى وعلاقته بالنص ؟ . وما هو المنهج النقلى

وكيف توسعوا فيه وعلاقته بالعقل ؟

العقل والتأويل :

جرت العادة أن كل شيء مكتوب يجب ان يفهم وان يفسر ، وفهمه أو تفسيره لايخرج عادة عن دوائر أربعه :

الدائرة الاولى : هو التأويل الظاهرى وهو الذى لايذهب الى ابعد من النص الحرفى كما يرد ، وهو مايعرف بالمذهب الظاهرى أو الاتجاه النصى .

الدائرة الثانية : التأويل المجازى وهو الذى يرى أن الظاهر ليس مرادا سوى مايرمز اليه من خفايا لا يستوعبها الا أولو النهى وهو مايعرف بالاتجاه الرمزى .

الدائرة الثالثة : وهو التأويل الاخلاقى وهو ما يجب مراعاته خاصة مع النص الالهى . . اذ كل نص الهى لايخلو من قيمة اخلاقيه وعلى المتأول أن يراعيها سواء اخذ بالظاهر أو المجاز .

الدوائرة الرابعة : هو « التأويل الخفى » الذى لايخضع للمعنى الظاهرى ولا المعنى الرمزى انما هو تفسير تحكمه الأهواء مثل الباطنيه .

هذه مواقف تبين بسهوله كيف يمكن تأويل أقوال الثقاة فى تأييد أى رأى بحيث يبقى العقل فى واقع الامر فيما يدع وفيما يأخذ ـ ولاشك أن العقل الذى يدور بالنص فى دوائره الاربعة يلقى اعتراضا على اساس أن العقل هو اتجاه شهوائى . . الى ان جاء الشافعى وقوم هذا المنهج العقلي بما وضع له من شروط البحث والنظر فيما اسسه من علم أصول الفقه .

قال الامام الشافعى فى الرسالة :

ولا يقيس الا من جمع الاله التى له القياس بها هي :

العلم بأحكام كتاب الله : فرضه وآدابه ، وناسخه ومنسوخه وعامه

وخاصه وارشاده .

ويستدل على ما احتمل التأويل منه بسنن رسول الله . . فاذا لم يجد سنه فباجماع المسلمين فان لم يكن اجماع فبا لقياس : ولا يكون لاحد ان يقيس حتى يكون عالما بما مضى قبله من السنن وأقاويل السلف واجماع الناس واختلافهم ولسان العرب . . ولا يكون له أن يقيس حتى يكون صحيح النقل وحتى يفرق المشتبه ولا يعجل بالقول به دون التثبيت ، ولا يمتنع من الاستماع ممن خالفه لأنه قد يتنبه بالاستماع لترك الغفلة ويزداد به تثبتا فيما اعتقد من الصواب وعليه فى ذلك بلوغ غاية جهده والانصاف من نفسه حتى يعرف من اين قال مايقول وترك ما يترك .

ولا يكون بما قال أعنى منه بما خالفه حتى يعرف فضل مايصير اليه على مايتر ان شاء الله . . فاما من تم عقله ولم يكن عالما بما وصفنا فلا يحل له أن يقول بقاس وذلك انه لايعرف مايقيس عليه كما لايحل لفقيه عاقل أن يقول فى ثمن درهم ولا خبرة له بسوق .

ومن كان عالما بما وصفنا بالحفظ لابحقيقة المعرفة فليس له أن يقول أيضا بقياس لأنه قد يذهب عليه عقل المعانى . . وكذلك لو كان مقصر العقل أو مقصرا عن علم لسان العرب : لم يكن له أن يقيس من قبل نقص عقله عن الآله التى يجوز بها القياس : ثم اخذ يتكلم عن الاختلاف والتأويل فقال :

يقول الشافعى عن الاختلاف والتأويل :

قال : فانى أجد أهل العلم قديما وحديثا مختلفين فى بعض أمورهم فهل يسعهم ذلك ؟

قال : فقلت له : أى لسائله ـ الاختلاف من وجهين :

احدهما محرم ولا اقول ذلك فى الاخر . . قال فما الاختلاف المحرم ؟

قلت : كل ماأقام الله به الحجة فى كتابه أو على لسان نبيه منصوصا بينا لم يحل الاختلاف فيه عن علمه وما كان من ذلك يحتمل التأويل ويدرك قياساً فذهب المتأول أو القياس الى معنى يحتمله الخبر أو القياس وأن خالفه فيه غيره . . لم أقل بضيق عليه ضيق الخلاف في المنصوص.

قال: فهل فى هذا حجه تبين فرقك بين الاختلافين ؟ . . قلت قال الله فى ذم التفرق « وما تفرق الذين أتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم البينات » وقال جل ثناءه « ولاتكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » فذم الاختلاف فيما جاءتهم به البينات .

فأما ماكلفوا فيه الاجتهاد فهو مما لله فيه نص حكم يحتمل التأويل . . فهل يوجـــد على الصواب فيه دلالة ؟ . . قلت : قل ما اختلفـــوا فيه الا وجدنا فيه عندنا دلالة من كتاب الله أو سنة رسوله أو قياسا عليهما أو على واحد منهما .

ثم قال عن علاقة الظاهر بالباطن : والقرآن على ظاهره حتى تأتى دلالة منه أو سنه أو اجماع بأنه على باطن دون ظاهر . . أرأيت أقاويل أصحاب رسول الله اذا تفرقوا فيها ؟

فقلت : نصير منها الى ماوافق الكتاب أو السنه أو الاجماع أو كان اصح فى القياس . . . واضح مماسبق أن القياس الذى يذهب اليه الشافعى ليس منه الإلهام وهو الالقاء بطريق الفيض والفراسه وهو الأخذ بحده الذكاء أما عن الاتجاه النقلى فان كان قد تشعب ليحارب العقل فبينه ابن حزم فقال : من غير إعمال للفكر فى الحكم الشرعى .

قال قوم : لايعلم شى الا بالالهام : وقال اخرون : لايعلم شىء الا يقول الامام وهو عندهم رجل بعينه الا انه منذ مائة عام وسبعين عاما ـ منذ حياة ابن حزم ـ معدوم المكان متلف العين ضالة من الضوال .. وقال آخرون : لايعلم شى الابالخبر . . وقال اخرون : لايعلم شىء

الا بالتقليد واجتمعوا فى ابطال حجة العقل بأن قالوا قد يرى الانسان ان يعتقد شيئا ويجادل عنه ولا يشك فى انه حق ثم يلوح له غير ذلك . . . فلو كانت حجج العقول صادقة لما تغيرت ادلتها .

ثم أخذ يرد على كل طائفه يقال لمن قال بالالهام : فالفرق بينك وبين من أدعى انه الهم بطلان قولك فلا سبيل الى الانفصال عنه . ـ وقال : وأيضا فان الالهام دعوى مجردة من الدليل .

وأما الذين يقولون بالامام المعصوم فانهم يؤولون قوله تعالى : « ويتبع غير سبيل المؤمنين » قال الشيعه المراد من المؤمنين الائمة المعصومون أو من كان منهم الامام المعصوم . ويقال لمن قال بالامام المعصوم ؟ بأى شىء عرفت صحه قول الامام ؟ أبيرهان أم بمعجزة أم بالالهام أم بقوله مجردا ؟ فلابد من حاكم يميز الحق منها بالباطل وليس ذلك الا العقل الذى لا تتعارض دلائله .

وقال عن التقليد : المقلدون كالغرقى فأى شى وجدوه تعلقوا به . . .

ووفق هذا المنهج الذى وصف الرازى به حال الجو الفكرى إبان العصر الذى نبغ فيه الشافعى وقدمنا عرضة حتى رأينا كيف قومه وربط بين المنهجين بما وضعه من قواعد أصولية تحكم العقل وتوضح النص تقوم العقل من غير اغفال للنقل وأكد حجة النقل من غير اغفال للعقل وكنا نرى ذلك ظاهرا على آرائه الفقهيه والأصوليه حتى الكلامية على قلتها . ولما كانت أراء الامام الشافعى الكلاميه بل وموقفه من علم الكلام ليس من الشهرة التى تطابق فقهه وأصوله رأينا أن تقدم موقفه من الكلام نموذجاً تطبيقياً لمنهجه الفكرى .

ثانيا : الشافعى وعلم الكلام :

يقول الامام الشافعى على الكلام : « الكلام يلعن أهل الكلام »

أثار قول الشافعى على علم الكلام عدة قضايا لدى المهتمين بشئون الفكر الاسلامى أو الفكر الانسانى وما أثاره قول الشافعى من قضايا ليذكرنا دائما بالمواقف الجاده التى شغلت العقل الاسلامى . . أبان البحث عن حقيقته وأصالته واستقلاله فى ابتكار اتجاهاته الفكرية .

كذلك يذكرنا بجدية الحركة الثقافية فى المجتمع الاسلامى وان اهتماماتها الثقافية ـ كانت بالدرجة الاولى ـ مسايرة لحقيقة الدين الاسلامى كما كانت بنفس الدرجة تلبية لرغبة عقلية تطلب المزيد من التفاعل بين قضايا العقل وقضايا النقل .

١ ـ رأى الطاعنين فى قول الشافعى :

أما عن رأى الشافعى فى علم الكلام من خلال خصومه والقضايا التى أثيرت وسوف تثار دائما ـ من خلال رأيه فى علم الكلام فهى كما نلاحظ أن بعضها يطعن بها الشافعى ـ كما هو شأن كل قضية فكرية ـ ويصدر من الذين يخالط فكرهم انفعالهم ولا يكاد يبدونه الا ويحملون أوزار القول .

فيرون : أن موقف الشافعى من علم الكلام لينم عن جهله ، ويطعن فى علمه ، ويعوق اجتهاده لانهم يرون : أن من كان منكرا لعلم الكلام ومبغضا له كان جاهلا بذات الله ، وبصفاته وبشرائط المعجزات ونبوة الانبياء ومن كان كذلك لايكون مسلما فضلا عن أن يكون مجتهداً فى الدين . . فنحن اذ نناقش الموقف الرافض لرأى الشافعى علينا أن نلاحظ أنه أثار قضيتين :

القضية الأولى : علاقة علم الكلام بمعرفة الله .

القضية الثانية : هل معرفة الله ضرورية أو استدلالية ؟

يرى الطاعنون فى موقف الشافعى : أن معرفة الله ومعرفة النبوات ليست ضرورية بل استدلالية أى تحتاج إلى دليل . . والدليل :

أما أن يكون مصدره السمع أى القران أو السنه ودليل السمع . ـ فى نظرهم ـ لايصح لأن مصدره معرفة الله أولا ثم بعد معرفته يحتج بكلامه عن طريق الوحى ولا سبيل الى معرفه الله الا بالعقل فاذا ثبت أن معرفة الله منوطة بالعقل توقفت معرفته على علم الكلام فكيف يذمه الشافعى فالذى ينكر علم الكلام ينكر العقل الباحث فى معرفة الله والذى ينكر المعرفة جاهـــل .

ثانى أدلتهم : أن المسلمين قد اختلفوا فى صفات الله اختلافا شديدا وكل واحد يدعى أنه على حق وأن مخالفه هو المبتدع فلابد فى التمييز عن طريق ، ذلك الطريق هو النقل أما تواتر أو أحاد أما المتواتر فنعود . وأما الاحاد فلا يفيد الا الظن .

وهذه المسائل قطعيه فلا يبقى الاقضايا العقل لعلم الكلام ـ فمن هنا كان الطاعن فى علم الكلام والمبغض له ـ فى نظرهم ـ جاهلا بالله ورسوله واليوم الآخر . . ومن كان كذلك لم يكن من المسلمين فضلا عن أن يكون من المجتهدين . . . هذا رأى الطاغنين فى موقف الشافعى .

( تقييم ) رأى الطاغين فى نظرنا :

لاحظنا : أن نقدهم كان قاسيا شديد القسوة اذ استهدف بالنسبة للشافعى لنيل من اجتهاه ومن دينه ومن علمه . . واستهدف بالنسبه لعلم الكلام رفعه رفعة تتجاور مع رفعة الله وتتجاور مع كمال قدسه . ـ وهذا الاستهداف بالنسبة للشافعى وبالنسبة لعلم الكلام وطأت له المغالاة فى التعصب ومغالطة الجدل . فمن ناحية المغالآة فى التعصب : ربطهم بين معرفة الله وعلم الكلام على أساس أن العقل دليل مرفة الله الوحيد . . مع أن معرفة الله ليست محصورة فى علم الكلام فلها سبل شتى : مثل . العقل والحس . والذوق .

أما علم الكلام فقد يغالى ويجعلها محصورة فيه على أساس أنه قصر نفسه

عليها فتوهم علماء الكلام أن الطريق مسدود على غيرهم الا طريقهم وذلك نوع من المغالاة فى التعصب .

وأما من ناحية مغالطة الجدل : فقولهم : أما التواتر فمفقود .

هذا لون من المغالطات فى الجدل يقع الناس فيه عندما يخالون : أن النوبة العصبية تفكير لأن قولهم هذا منقوض بالقرآن : فالقرآن منقول الينا بالتواتر وهو مصدر علمنا بصفات الله . واما الاختلاف حول الصفات . فانما هو اختلاف حول تصورها وكيفيتها وذلك من قضايا الفلسفة بعد مارأينا مغالاتهم ومغالطاتهم : تثبت أن ما استهدفوه من النيل من الشافعى لايثبت لدعواهم لقيام دليلهم على مغالطات ومغالات وأن ايمانه بالله ومعرفته به قام على دليل من جانب اخر غير جانب الكلام . . وأن قضية اجتهاده غير مطعون فيها إيضاً لأنه لايدعى اجتهادا فى علم الكلام وإنما فى علم أخر هو علم الفقه وأن اسلامه لا ردة فيه لأنه يرى إيمانه نابعا من القرآن والسنه دون نظر إلى أدلة علم الكلام . . وأما ما استهدفوه من رفعة علم الكلام فأنا لا نناقشها لاعترافنا بقيمته وثمرة وظيفته بيد اننا ننازع علم الكلام اسرافه فى فهم وظيفته حينما جعل الطريق إلى الله مقصورا عليه فقط وفى نفس الوقت نرى أن له من الاهميه التى تكفل له مهمة بحثه الى معرفة الله .

ومع ذلك لايستدعى انكارنا لاسراف علم الكلام انكارا لمعرفة الله لان انكارنا لعلم من العلوم قد يكون انكارا لقواعده أو منهجه أو نتائجه أو أدلته أو أى شى أخر يتعلق بالعلم ولايتعلق بمعرفة الله فالربط بينها من مغالطات الجدل .

فأنا قد أنكر علم الطبيعة دون أن أنكر الطبيعة وفى النهاية يشير هذا الموقف المعارض لموقف الشافعى من غير شك - الى حرية النقد التى وسعتها روح المجتمع الأسلامى نقدا من غير حدود لقواعد النقد ومن غير مراعاة لأدب البيئة وأصول اللياقة فمست - فى عنف - رجالا بصماتهم على التاريخ واضحة مشرقة . . ولعل موقفهم العنيف من الشافعى وتكفيرهم اياه صحح

ما رواه الربيع عن الشافعي انه قال : « رأيت أهل الكلام يكفر بعضهم بعضا ورأيت أهل الحديث يخطىء بعضهم بعضا والتخطئه اهون من الكفر فنلاحظ ان أهم ما أخذه على علم الكلام مغالاتهم فى تكفير بعضهم بعضا . .

٢ ـ موقف المنصفين لرأى الشافعى :

وهناك من يرى أن هذه الأقوال التى أثرت عن الشافعى صحيحة غير مطعون فى نسبتها اليه وانما لاتعنى من ورائها موقفا محددا بين الشافعى وعلم الكلام وانما تعنى توجيهاما .

قالوا لاشك ان الشافعى كان اماما من أئمة المسلمين وكان عظيم القدر عالى الدرجة فلما أظهر الانكار على هذا العلم علمنا انه مذموم. وحاصل الكلام أن هذه الروايات دلت على حصول العدواة بينه وبين علماء الكلام فمن اعتقد أن علم الكلام شريف فقد استدل به على الطعن فى الشافعى .

ثم قالوا : وأما نحن فنعتقد ان علم الكلام اشرف العلوم واجلها و ان الشافعى أفضل المجتهدين وأعلمهم . . لذلك لابد لنا من التوقيف وطريق ذلك أن يحمل طعن الشافعى فى علم الكلام على تأويلات التأويل الأول : من وجهة النظر السياسية وحال العصر : أن فتنا عظيمة وقعت فى ذلك الزمان بسبب خوض الناس فى مسألة ( خلق القرآن ) وأهل البدع استعانوا بالسلطان وقهروا أهل الحق فلما عرف الشافعى ان البحث عن هذا العلم فى ذلك الزمان ليس لطلب الحق وليس لله وفى الله بل لأجل الدنيا والسلطنة تركوه وأعرضوا عنه فذمه ليس لذاته وانما ذم معرض به عن اهواء السياسة .

التأويل الثانى : صرف ذمه الى مسائل من علم الكلام : أن يصرف ذلك الذم الى الكلام الذى كان أهل البدعة ينصرونه ويقررونه ومثاله : أن الفقهاء متفقون على أن القياس حجة فى الشرع ثم ظهر النقل المتواتر من الصحابة والتابعين فى ذم القياس فعند هذا قال الفقهاء : ذلك الذم منصرف الى الأقيسة الفاسدة الواقعة فى معارضته النصوص فكذا ها هنا .

ثم يقولون : نحن نقول : بأن الذم العظيم المنقول عن الشافعي للكلام يجب صرفه الى الكلام الذى كان أهل البدعة ينصرونه . فان في ذلك الزمان كان الكلام اسما للمتكلم فى الاعتزال والقدر .

التأويل الثالث : لعله كان من مذهبه أن الاكتفاء بالدلائل المذكورة فى كتاب الله واجب وان الزياده عليها والتوغل فى المضايق التى لاسبيل للعقل الى الخوض فيها غير جائز فلهذا السبب بالغ فى ذم من حاول الخوض فى تلك الدقائق .

تقييم موقف المنصفين فى نظرنا :

ماذا يهدف اليه المؤولون لموقف الشافعى من الكلام ؟

يهدفون الى عدة أمور متعلقة بالشافعى وبعلم الكلام :

١ - بالنسبة للشافعى : نفى التقليد عنه وعن مذهبه فلايقال كان مذهبه أن الدين فيه انما يستفاد من متابعة الاسلاف طريق مذموم من القرآن . نفى انه كان يحارب النظر العقلى . نفى جهله بعلم الكلام - روى البيهقى عن الحكم بن عبيد الله الحافظ باسناده عن المزنى قال : كنا على باب الشافعى نتناظر فى الكلام فخرج الشافعى اليها فسمع بعض ماكنا فيه فرجع عنا وماخرج إلينا الا بعد سبعة أيام ثم خرج فقال : مامنعنى عن الخروج اليكم الا انى سمعتكم تتناظرون فى الكلام اتظنون انى لاأحسنه ؟ لقد دخلت فيه حتى بلغت مبلغا عظيما الا أن الكلام لا غاية له . . . تناظروا فى شيء أن أخطأتم فيه يقال : أخطأتم ولايقال كفرتم علق البيهقى قائلا : وهذه الحكاية تدل على أن الشافعى كان عالما بهذا العلم الا انه ماكان يفتح باب المناظرة للخوف من المفاسد المتولدة منها .

٢ - بالنسبة لعلم الكلام :

رفع قيمة علم الكلام وتأكيد أنه علم اسلامى ذو منهج عقلى : بيان

أنه طريق وسط فهو يحد من نطاق العقل: فلا يدعه مع اهوائه وأخيلته حتى يرسم له منهاجا غايته الايمان كذلك يؤكد من « لامعقولية المغيبات » . . فان القول « بعدم معقوليتها » فيه مايغرى بتركها أو انكارها دون تورط فى الكفر . كذلك القول بمعقوليتها فيه مايغرى أيضا بدعوى انكار الرسل والوحى اذ لاوظيفة لهم مع العقل فى نظر العقليين .ـ فعلم الكلام طريق وسط يربط بين العقل بتوجيه مبادئه فالعقل الكلامى عقل موجه بالوحى . . وبين اللامعقول فيرفع بذلك مرتبه الايمان التقليدى إلى رتبة الايمان العقلى ويربط مسالك النظر بمسالك البصر .

النتيجة النهائية :

تفريقه بين علم الكلام وعلم التوحيد :

لكن هل الشافعى كان يرى فى علم الكلام فائدة تجيز شرعية تأويل المؤولين فيما ذهبوا اليه ليحفظوا على علم الكلام قيمته ؟ . . وهل هذا التأويل وفق رغبتهم فقط أو يمكن تضاف اليهم رغبة الشافعى أيضا يرى المؤولون أن الشافعى كان على دراية تامة بعلم الكلام ثم راحوا يثبتون موقف مهاجمته لعلم الكلام الى حد فتواه المشهوره وهي : أنه لو أوصى للعلماء لم يدخل فيه المتكلم ويرروا هذا الموقف بعدة أمور هي :

ـ الوضع السياسى فى عصره وما اشتهر فيه من زندقه .

ـ ظهور قضايا جديدة شائكه واحتواء علم الكلام لها كقضية خلق القرآن وليست الا من وضع الزنادقة ويقال انها اثر من أثار المسيحية فى قولهم :
ـ المسيح مخلوق وابن الله ؟ نتيجة ذلك ظهر قضية خلق القرآن فى الاسلام نقول :

القرآن صفة كلام الله أو مخلوق ؟ . . وأياما كان الامر فان الشافعى تعرض للمساءلة فى تلك القضية .

... روى البيهقي بسنده عن أبي محمد الزبيري : قال : قال رجل للشافعي: أخبرني عن القرآن خالق ؟ قال الشافعي : اللهم . لا . قال : فمخلوق ؟ قال الشافعي : اللهم . لا . قال : فغير مخلوق ؟ قال الشافعي : نعم . قال : فما الدليل على أنه غير مخلوق ؟

... فرفع الشافعي رأسه وقال : نقر بأن القرآن كلام الله؟ قال الله تعالى وإن أحد من المشركين إستجارك فأجره حتى يسمع كلام الله .

وقال الله : وكلم الله موسى تكليما ، قال الشافعي : فتقر بأن الله كان ، وكان كلامه ؟

أو كان الله ولم يكن كلامه ؟ فقال الرجل بل كان الله وكان كلامه

( قال ( فتبسم الشافعي وقال : يا كوفيون لتأتوني بعظيم أن كنتم تقرون بأن الله قبل القبل وكان كلامه فمن أين لكم الكلام : الله ، أو سوى الله، أو عين الله ، أو دون الله ؟ .

( قال ) فسكت الرجل وخرج .. كذلك من القضايا الداخلية قضية الاسم والمسما والذات والصفات وشيوع قضية القياس في التوحيد مثل هذه القضايا كانت تؤرق الشافعي ولا يرى قيمه للخوض فيها بل قد تضر بأيمان المؤمنين . قال يونس بن عبد الأعلى : سمعت الشافعي يقول : إذا سمعت الرجل يقول : الاسم غير المسمى فاشهد له بالزندقه . فلاختلاط مسائل الإيمان بمسائل الالحاد في علم الكلام شدد الشافعي نكيره لهذا العلم لإختلاطه بقضايا لاتساعد المؤمن على إيمانه فهو لا يرفض العلم كعلم إنما يرفض منه إنحرافه عن منهجه الإسلامي ثم يؤيد وجهه نظرنا ، مايؤثر عن الشافعي نفسه أنه كان يطلق على هذه القضايا « مسألة الملحدين » لأنها تشكك في الدين ولاتبعث على الإيمان وكان يطلق على هذا العلم الذي إشتمل على تلك المسائل الإلحادية ( علم الكلام)

يقول الرازي : فان في ذلك الزمان كان الكلام إسما للمتكلم في الإعتزال

والقدر . من هنا صح قول المؤولين بأنه كان يقصد من ذمه عدم التوغل في المضايق التي لاسبيل للعقل إلى الخوض فيها . فالشافعي كان يفرق بين نوعين من القضايا .

ـ قضايا وليدة التذندق في الإسلام ولا سبيل للعقل للخوض والتوغل فيها ويسميها « علم الكلام » .

وقضايا تعمل دلائل للتوحيد والنبوة ويسميها علم التوحيد »

يقول الشافعي : فكل من نصر علم الأصول وقرر دلائل التوحيد على مذهب الخليل ،استوجب التعظيم المذكور في قوله تعالى: وتلك حجتنا إتيناها إبراهيم على قومة نرفع درجات من نشاء. وكل من أنكر علم الأصول وأصر على التقليد ومتابعة الاسلاف كان على دين آزار والد إبراهيم ومتبعاً طريقته في الجهل والضلال . .

فمن هنا كانت دعوة الشافعي تتطابق مع وجهة نظر المؤولين موقفه من علم الكلام وتتناسب كل التناسب مع نزعة العقلية وتتطابق مـــع منهجه ذو المنحى الفريد في تأليفه لعلم أصول الفقه .

ومما يذكر أن أبا حنيفه قبله كان يرى مثل رأى الشافعي . فيقول : قلت أى أبو حنيفه : إن نظرت في الكلام مايكون آخره ؟ . . قالوا : لايسلم من نظر في الكلام من مزلقات الكلام فيرمى بالذندقه . فأما أن تسلم فتكون مذموما ملوما .

وبالرغم من هـــذا الموقف لأبى حنيفه من علم الكلام فانه خاض فيه وألف فيه ويتشابه موقفه بالشافعي من حيث . . انـكاره « لعلم الكلام » وأخذه بقضايا تحت إسم آخر نسب إليه وهو : الفقه الأكبر .

وهو والشافعي يتفقان حول اسم « علم الكلام » لتفشي مقالات الذندقه وإنبيسارها لمن ينسب إلى هذا العلم والفلسفه . . فلهذة الصلة بين الذندقة وعلم

الكلام رفضاً معاً استخدام إسم علم الكلام مع إحترام غايته وفائدته وتغير اسمه

فهو عند أبي حنيفة : الفقه الأكبر وعند الشافعي : علم التوحيد .

« نسوق دليلا فى الوحدانية ذكره الشافعي آية على إتقانه علم التوحيد »

٤ — نموذج من فقه الشافعي فى « علم التوحيد » : دليل الوحدانية نلاحظ عليه طابع التأمل الإستقرائى فقد ذكر البيهقى فى حكاية طويلة أن بشر المريسى قال للشافعي فى مجلس الرشيد :

ما الدليل على الآلة الواحد ؟

فقال الشافعي :

١ — اختلاف الأصوات من المصوت دليلا على أنه واحد .

٢ — وعدم الضد فى الكمال على الدوام دليل على أنه واحد .

٣ — وأربع نيرات مختلفة فى جسد واحد متفقات على ترتيبه فى إستقامة الشكل دليل على أنه واحد .

٤ — وأربع طبائع مختلفات فى الحافقين أضداد غير أشكال مؤلفات على إصلاح الأحوال دليل على أنه واحد لاشريك له.

والحكم أله واحد إلا هو الرحمن الرحيم ، أن فى خلق السموات والأرض وإختلاف الليل والنهار إلى قوله لقوم يعقلون. دليل على أنه واحد لاشريك له

... نقدنا وتعليقنا على شرح الرازى لهذه الأدلة :

شرح فخر الدين الرازى هذه الأدله المجملة فقال :

النوع الأول: ماذكره من قوله إختلاف الأصوات من المصوت دليل على أنه واحد فأعلم : أن الأعضاء التى هي الالات فى تكوين الأصوات والحروف أعضاء مخصوصة وهي :

الحلق ، والحنجرة ، واللسان ، والأسنان ، والشفتان ، ثم أنك ترى جميع الناس مع إشتراكهم فى هذه الالات مختلفين فى الأصوات حتى أنك لاترى فى الدنيا أنسانين يتشابه صوتهما من جميع الوجوة فلولا أن الصانع القادر الحكيم خصص خلق كل إنسان وحنجرته لم يحصل ذلك الإختصاص وفاعلها مختار قال تعالى : وإختلاف السنتكم والوانكم ( .

نرى : ان شرح الرازى للدليل يغلب على ظنى أنه ليس مرادا لأنه حصره فى أن كل مصوت له صوت واحد لايتفق فيه وفيه ومعه مصوت آخر .

إذ الشافعى لو أراد ذلك لقال : إختلاف الإنسان من الإنسان ثم يرتب عليه الأصوات وبقية الأعراض .. إن أراد ذلك لـكنه لم يرد ذلك انما أراد إختلاف الأصوات من المصوت .

أى أن الأصوات من المصوت الواحد يشرح هذا علم الأصوات الحديث بأن الصوت له طبقات مختلفة هذا الإختلاف فى الصوت لايعنى إختلاف الإنسان المصوت إنما يعنى أن المصوت واحد لأصواته المختلفة . كذلك فالإختلاف الذى نراه فى هذا العالم لايعنى تعدد الآله إنما يعرب عن وحدة الآله كما تعرب الأصوات المختلفة عن وحدة المصوت .

كذلك نلاحظ أن الرازى سلـكها فى أدلة منطقية أرسطية بينما الإمام الشافعى لجأ إلى أدلة قائمة على المشاهد والتأمل وفق منهجه فى علم الفقه لينبذ المنطق الصورى . الذى كان لايستسيغه النوع الثانى .

قال الرازى : ان بدن كل إنسان ينتقل من حال إلى حال مثل : أن يكون صبياً ثم شاباً ثم كهلا ثم شيخاً ، وأيضاً يكون سمينا ثم يصير هزيلا . ـ وبالضد : يكون حاراً ثم يصير بارداً .

ثم إنا نرى الانسان مع إختلاف هـذه الأحوال باقياً على نهجة الأول فى الصوت والصورة فبقاء هذه الأحوال بسبب الفاعل الحـكيم يبعد الرازى

كثيراً عن معنى دليل الشافعى وعن توجيهة فرأه يربط بين احتلاف الاحوال فى الطبائع وبين وحدة الصوت والصورة وسبب هذا الربط هو اعتماده على المنطق الصورى الذى كان يهرب منة الشافعى

بينما المشاهد يخالف هذا الربط لأن صورة الانسان فى الصغر تختلف عنه فى الكبر كذلك الصوت فيه اختلاف فى الكبر والصغر والشيخوخة .

لكنا نرى : ان الشافعى يهدف من دليلة ان الضد لا يجتمع مع الكمال .

فمعنى ان الانسان ينتقل من حال الى حال فهو بين الاضداء بين الشيوبة والشيخوحة بين الحياه والموت ... الخ .

هذا التنقل بين الاضداد يتنافى مع الكمال .. فعدم الفد مع كمال الله يقضي بثبات الوحدة لله

النوع الثالث : قوله : وأربع نيرات مختلفات فى جسد واحد متفقات على ترتيبة فى استقامه الشكل دليل على انه واحد .

قال الرازى : ان فى البدن نيرانا أربعة .

احدهما : نار الشهوة ـ ثانيهما : حرارة الغضب ـ ثالثهما الحرارة القائمة باعضاء الغذاء ورابعهما : الحرارة القائمة التى يتم بها امر الحياه .

فهذة الانواع الاربعة من الحرارة نيران مختلفة بالماهية ثم انها اجتمعت فى بدران الانسان وبقى كل واحد على صفتها المخصوصة وطبيعتها المخصوصة وهي كامنة فى بدن الانسان لا تظهر الا عند وقت الحاجة اليها ثم انها مع اختلافها وتباينها موافقة متعاونة على تحصيل مصلحة الانسان وموجبه لاستقامة ذلك الجسد .

نزيد على قول الرازى : ان اختلاف النيران لم يؤد الى اختلاف فى شكل الجسم لذلك كان الاختلاف الظاهر لنا فى الكون لا يعنى تعدد فى الاله وانما الاختلاف وراء وحدة .

النوع الرابع : قولة واربع طبائع مختلفات فى الخافقين اضداد غير اشكال مؤلفات على اصلاح الاحوال يقول الرازى : أن ابدان الحيوانات على قول الاطباء متوالده من الارض والنار والماء والهواء

من الاخلاط الاربعة وهي : الصفراء ، والسوداء ، والبلغم ، والدم .

ثم انها اضداد متنافرة متعايرة بطبائعها واجتماعها فى البدن الواحد لا بد ان يكون بقسر قاسر وتدبرها ذلك الا الصانع الحكيم وهي دالة على كون الصانع واحد .

قال الرازى : ثبت ان كلام الشافعى فى هذا الباب على وفق دلائل القرآن من غير تفاوت اصلا . ثم قال بشر المريسى فى هذا المجلس :

ما الدليل على ان محمد رسول الله

فقال الشافعى : الدليل على نبوه محمد : القرآن المنزل واجماع الناس والايات التى لا تليق باحد غيره فعلم التوحيد الذى حاول الشافعى تميزة عن علم الكلام تأثر فيه بمنهجة فى علم اصول الفقة .

يقول الرازى : وهذا يدل على انه كان متقنا فى علم الاصول .

فالمنهج العقلى النقلى الذى اتبعة الشافعى والتزم به ساعده على ابراز خصائص الثقافة الاسلامية واصالة العقل الاسلامى.

( محمد ابراهيم الفيومى )